مجلة دراسات إنسانية واجتماعية (JournalofSocialandHumanScienceStudies) جوهران2/ المجلد10ع2خ/2021/03/16
ISNN:2253-0592EISSN : 2588-199X/Prefix:10.46315

بلاغة الاستعارة ودلالتها في فلسفة بول ريكور

Rhetoric of the metaphor and its significance in the philosophy of PaulRicoeur

منيع حنان Menia Hanene* meniahanene41@gmail.com	فلسفة	مختبر الأبعاد القيمية للتحولات الفكرية والسياسية بالجزائر. كليةالعلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة وهران2، الجزائر.

DOI : 10.46315/1714-010-002-016

الإرسال: 2020/01/06القبول:2020/10/10النشر: 2021/03/16

Abstract: The French philosopher «Paul Ricoeur» observed the metaphor rough his chronological point, and tried to bring changes to its style, meaning, and action. It thus represents a symbolic style that acts as an and actor that refers to a connotation, namely the meanings, these connotations derivate from the lived experience, and all the carried ontological, psychological and intellectual experience that what makes it subject to the interpretive practice for the achievement of the process of comprehension, because it reflects the reality and its reformulates it, the fact that led Paul Ricoeur to describe it as the "living metaphor", and the metaphor is not constituted by the similar relationship, but rather the tension occurring between the figurative sense and original sense, namely the manner to enable oneself to gather between discordant and divergent indicator in one context and this tension happens only if the metaphor fulfil all it criteria, and it has the connection (the metaphorical sense fits the original context) and the cohesion (what does create the coherence between the two senses is the though similarity between them) and the definition (the achievement of the goal from this metaphor). This composition will create a system of new meanings and concepts that enriches the semantic field.

Key-words: metaphor; symbol; Interpretive; Comprehension; lived experience.

ملخص باللغة العربية:

لقد تتبّع الفيلسوف الفرنسي بول ريكور الاستعارة عبر محطاتها الكرونولوجية؛ وحاول أن يحدث تغييرا حول نمطها ومفهومها وعملها. فهي تمثل نمط رمزي يعمل كدال يحيل إلى مدلول أي معاني أخرى؛ وهذه المدلولات مستنبطة من الخبرة المعاشة؛ وما تحمله من تجارب أنطولوجية؛ سيكولوجية؛ فكرية وهذا ما يخضعها للممارسة التأويلية لتحقيق عملية الفهم لأنها تعكس الواقع وتعيد صياغته من جديد؛ الأمر الذي جعل بول ريكور يصفها بالاستعارات الحية؛ والذي يشكّل الاستعارة ليس علاقة المشابهة؛ بل علاقة التوتر الحاصلة بين المعنى المجازي والمعنى الأصلي؛ أي كيفية تمكن الذات من الجمع بين دلالات متنافرة ومتباعدة في سياق واحد ولا يحصل هذا التوتر إلا إذا استوفت الاستعارة معاييرها وهي المناسبة (المعنى المستعار يناسب السياق الأصلي) والتماسك (الذي يخلق التماسك بين المعنيين هو المشابهة القوية بينهما) والوضوح (بلوغ الهدف من هذه الاستعارة). إن هذا التركيب سيخلق شبكة من المعاني والمفاهيم الجديدة التي تثري الحقل الدلالي.

الكلمات المفتاحية: الاستعارة؛ الرّمز؛ التأويل؛ الفهم؛ الخبرة المعاشة.

* - الباحث المُرسل: mohamed.bendjelti@univ-biskra.dz

مقدمة:

لطالما مثّل الإنسان تلك الذات العارفة، التي تسعى للبحث والمعرفة سعيا وراء الحقيقة بمختلف أبعادها، لكن سرعان ما تحولت هذه الذات إلى موضوع للمعرفة بسبب تطور الحياة وازدياد تعقيداتها، الأمر الذي دفع بهذه الذات إلى محاولة إثبات هويتها والتعبير عن حياتها السيكولوجية والفكرية والأنطولوجية، ويظهر أن اللغة وحدها أصبحت عاجزة أو قاصرة عن التعبير عن هذه الهوية ونقلها للآخر.

فوجدت الذات حاجتها في الفن بمختلف أنماطه، فتذوق الإنسان الفن ووجد فيه فسحة ومجالا خصبا للتعبير والتأويل، ويظهر أن اللغة تحولت إلى فن والذي أكسبها هذا الطابع، هو ماتزخر به من صور بيانية ومحسنات بديعية أضفت عليها أسلوبا جماليا ينقل للقارئ إبداعية صانعها.

إنّ إشكالية اللّغة انطوت تحتها عدّة إشكاليات منها: عالم الحياة والتعبير والفهم والتأويل والرّمز والمعنى... وغيرها من الإشكاليات المرتبطة فيما بينها، إنّ مثل هذه الموضوعات تعكس واقع من الاغتراب وأزمة تعيشها الذات الإنسانية بسبب تحولات العصر، لهذا سعت الدراسات على مستوى الفلسفة والعلوم الإنسانية إلى محاولة تخطي هذه الأزمة بتأسيسها لمناهج تتناسب وطبيعة الطّرح. وإن كانت منطلقات الفلاسفة والمفكرين مختلفة حول الأدوات والأساليب المناسبة لهذا الإشكال، فإن هدفها واحد وهو فهم الكينونة الإنسانية.

ولقد كان "**بول ريكور**" أحد الإرهاصات التي خاضت إشكالية الفهم ليس فقط من خلال كتاباته حول المنهج التأويلي أو من خلال طرحه لإشكالية الذات وعلاقتها بالآخر... بل من خلال دراسته لنمط لغوي بلاغي وهو " الاستعارة ". وتندرج هذه الدراسة ضمن حقل فلسفة اللغة، وسنحاول من خلالها الإحاطة بالإستفهامات التالية: كيف نحدّد الاستعارة؟ وماهي أغراضها وبلاغتها؟ وكيف تموقعت في فلسفة **بول ريكور**(لم يكن بول ريكور، أول من طرح إشكالية الاستعارة، بل سبقه في ذلك "أرسطو" من خلال كتابه الشعر، ويعرّفها في قوله:" هي نقل اسم يدل على شيء ما إلى شيء آخر" وهذا النقل أنواع قد يتم من جنس إلى نوع، أو من نوع إلى جنس، أو من نوع إلى نوع أو باعتماد المماثلة) (إيكو، أ ، سنة ، 2005 ، ص 246). فهل هي مجرد صورة بلاغية جمالية؟ أم أنّها تتجاوز ذلك؟ وإن كانت كذلك فكيف تخدم هذه الصورة إشكالية الفهم؟

1 ـ المناهج المعتمدة في الدراسة:

أ ـ المنهج الجينيالوجي في ضبط مفهوم الاستعارة.

ب ـ المنهج التحليلي: في تحليل إشكالية الاستعارة وآلية عملها وعلاقتها بإشكالية الفهم.

جـ ـ المنهج المقارن: اختلاف الفلاسفة في طرحهم لإشكالية الاستعارة.

في تحديد المجاز:

المجاز هو اللّفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب لعلاقة مع **قرينة**لفظية أو معنوية، تمنع من إرادة المعنى الحقيقي(ألتوجي، م ، سنة 2012 ، ص 165)فالمجاز بهذا المعنى هو استعمال اللّفظ في غير سياقه الأصلي.

والعلاقة بين اللّفظ الحقيقي والمعنى المجازي، قد تكون المشابهة أو غير المشابهة، فإن كانت العلاقة مشابهة فالمجاز استعارة، وإن كانت غير ذلك كان المجاز المرسل. إنّ في نقل اللّفظ من سياق إلى سياق آخر هناك ابتكاروإبداع وتكتمل جمالية الصورة. وبالتالي فإن الاستعارة في أصلها هي تشبيه حذف فيه المشبه وذكر فقط المشبه به، ولقد جاء في تحديد الاستعارة:

لغة: الاستعارة من الإعارة، فنقول استعار المال أي طلبه .(الهاشمي، أ، سنة 2011، ص258)

اصطلاح البيانين: هي استعمال اللّفظ في غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول والمعنى المستعمل فيه(الهاشمي، أ، سنة 2011 ، ص258)فالاستعارة بهذا المعنى تحويل اللفظ من سياق وإقحامه في سياق آخر لوجود علاقة مشابهة بينهما، وإذا ما تساءلنا لماذا هذا النقل والتحويل؟ فنقول لإيضاح المعنى وقوة التبليغ، فالقول إن فلان شجاع وفلان أسد، فالفرق بين العبارتين واضح فالثانية أدّت المعنى بشكل أبلغ وأقوى.

من الناحيةالسيميائية: تتضمن الاستعارة مدلولا يعمل كدال يرجع إلى مدلول آخر(تشالز، د، سنة 2008 ، ص 220)بمعنى أن الاستعارة لا تشير إلى المعنى الحرفي بل إلى معاني أخرى، هذا الاستعمالاللامباشر للمعاني، له عدّة أغراض قد تكون التوكيد أو الإيضاح أو أبعاد جمالية.

أجزاء الاستعارة(أركانها):

1. مستعار منه ← وهو المشبّه به.
2. مستعار له ← وهو المشبّه.
3. مستعار ← اللّفظ المنقول.(الهاشمي، أ، سنة 2011 ، ص 258)

إن غياب أحد طرفي الاستعارة المشبه أو المشبه به هو الذي يحدد نوع الاستعارة:

أ. **الاستعارة التصريحية**: سميت تصريحية، لأنّه صرّح بها في المشبّه به، ولقد ورد في المثال التالي:

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت وردا وعضت على العناب بالبرد.(الهاشمي، أ ، سنة 2011 ، ص 258)

فهذا نموذج عن الاستعارة التصريحية، حيث حذف المشبه وصرّح بالمشبه به، فاللؤلؤ يدل الدموع، والنرجس على العيون، والورد على الخدود، العناب يدل على الأنامل، والبرد يدل على الأسنان.

ب .**الاستعارةالمكنية:** على خلاف الاستعارة التصريحية يتم فيها ذكر المشبه ويحذف المشبه به، لكن يتم الإشارة إليه بأحد لوازمه، كما ورد في المثال التالي:

وإذا المنية أنشبت أظافرها ألقيت كل تميمة لا تنفع(الهاشمي، أ، سنة 2011 ، ص 258)

فهنا شبهت المنية(الموت) بالأسد (المشبه به) الذي حذف لكنه تمّت الإشارة إليه بأحد لوازمه وهي الأظفار.

ج .**الاستعارة التمثيلية:** هي تركيب أستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي، وسميت بالتمثيلية لأنها مبنية على تشبيه التمثيل، لكن الاستعارة التمثيلية هي نوع من المجاز، يحذف منها المشبه والأداة، ويبقى منها فقط المشبه به.(ألتوجي، م، سنة 2008، ص 182). مثال: ومن ملك البلاد بغير حرب يهون عليه تسليم البلاد.(ألتوجي، م، سنة 2008، ص 183).

في هذا البيت مثّل الشاعر الذي استولى على بلد بدون مشقّة، بالوريث الذي يرث الثروة ويبدّرها هباءً لأنه لم يشقى في تحصيلها.

ـ إن الدّارس للاستعارة يلاحظ أنها اتخذت عدّة صور وأنماط، فنصادفها في **الكتابات الأدبية الشعرية**، وحتى في **النصوص الدينية**، فقد جاء في قوله تعالى:"وللّذين كفروا بربّهم عذاب جهنّم وبأس المصير، إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور، تكاد تميز من **الغيظ**"(إبن عبد الله، ش، سنة 2004 ، ص183). فاستعارة الغيظ تدل على شدّة الغليان، فهذه الاستعارةتجعل القارئ يتصور شدّة هول جهنّم.

واقتحمت الاستعارة مجال السينما والإعلانات أو مايعرف**باستعارةالصورة** مثل تتابع لقطتين في فيلم كلقطة الطائرة التي تتبعها لقطة عصفور يطير، فالطائرة كالعصفور فوظيفة الاستعارات المرئية هي نقل الصّفات من إشارة إلى أخرى (تشالز،د، سنة 2008، ص 220). أما في مجال الإعلان، قدّمت "**جوديتوبليامسون**"، في كتابها [فك ترميز الإعلانات] معتبرة أن الإعلان يعتمد في تعبيره عن منتوج على مدلولات متعددة، وتقدم مثالا واضحا عن إعلان لعطر فرنسي(تشالز، د، سنة 2008 ، ص 220)، فالإعلان ينقل صورة لرأس وأكتافالممثلة الفرنسية "**كاثرين دونوف**" يظهر اسمها بحروف صغيرة، وفي الجزء الأيمن والأسفل من الإعلان صورة لقنينة [عطر شانيل5] Chanel فالإعلان هو دال يحمل مدلولا وهو أنّ الجمال والأناقة والأنوثة مرتبطة بعطر محدّد وهو [شانيل]، ووظيفة النقل هنا تتجلى في أنّ هذا الإعلان يجعل المتلقي ينقل مواصفات الجمال إلى منتوج العطر.

مما تقدم يمكن أن نستنتج أنّ الاستعارة ليست مجرد صورة بلاغية جمالية، بل تتعدّى ذلك لتحقق أغراض وأهداف أخرى، فهي تشرح المعنى وتبين عنه، وهذا ما أوضحه **عبد القادر**

الجرجاني حينما قال:" في الاستعارة نرى المعانيالخفية بادية جليّة"(إبن عبد الله، ش، سنة 2004، ص 183)، بمعنى أن الاستعارة تجعل المعنى أكثر وضوحا وقوة مقارنة مع اللّغة العادية لهذا نجدها في الكثير من الآيات والنصوص القرآنية، من حيث أنّها توصل المعنى للقارئ بصورة جليّة، تجعله يتصور الواقعة في ذهنه وكأنّه يعيشها، وتكمن بلاغة الاستعارة أيضا في اللّفظ والابتكار، فالمشتغل بالاستعارة يمكنه التركيب بين ألفاظ متباعدة وبين سياقات مختلفة في عبارة واحدة، لإدراكه لعلاقة المشابهة بين هذه الألفاظ .

إن في عملية التركيب هذه هناك إبداع وتجاوز للمألوف، إنه قدرة على الربط بين الصور والألفاظ المختلفة، وأثر ما يحدثه هذا الربط في ذهنية ونفسية القارئ من تأثير وشدّ للانتباه وتقريب للمعنى، ومن هنا كان الإبداع الاستعاري إبداعا خاصا وليس عاما.

دلالة الاستعارة في فلسفة بول ريكور:

إنّ هذه الميزات والأغراض التي تؤدّيها الاستعارة، جعل منها محل دراسات واهتمامات فلسفية كثيرة، ويعتبر **بول ريكور**(1913 ـ 2005) أحد هذه النماذج الفلسفية، من خلال طرحه لإشكالية الرّمز، إنّ المعنى بالنسبة لهيتخذ طابعا رمزيا، لكن توظيفه للرّمز يختلف عن توظيف سابقيه له، "**فأرنست كاسيرر**"(1874 ـ 1945) من خلال فلسفته الرمزية اعتبر أنّ كلما أنتجه الإنسان من لغة وفن وأسطورة ودين رموزا أبدعها الإنسان ليعبّر من خلالها عن نفسه وعن تجاربه، فالّرمز مهما كان نمطه هو فقط الذي ينقل الإنسان من حالة الغياب إل الحضور، فاللّغة على سبيل المثال وإن كانت وسيلة الفرد في التواصل مع أفراد مجتمعه، فإنّها ليست في الأخير سوى عملية رمزية. أمّا "**بول ريكور**"، فقد اعتبر أن الرمز هو كل بنية دالّة، يشير فيها المعنى المباشر والأولي إلى معنى آخر غير مباشر(ريكور، ب ، سنة 2006 ، ص 44)، وهذا المعنى المختفي وراء المعنى الظاهر يتم الكشف عنه من خلال التأويل، وهكذا فإنّ الرمز والمعنى يشكلان حدّين أساسيان، ويتخذ الرّمز صورا متعدّدة[أسطورة، مجاز، **استعارة**، الشعر...] وتحمل هذه الصور في طياتها معاني محايثة للخبرات المعايشة، إنّها انعكاس للوجود الإنساني وعلاقة الذات بالآخر وبالوجود أيضا. (ريكور، ب، سنة 2006 ، ص 50) وبالتالي فإن الاستعارة هي صورة رمزية، فكيف فسّر "**بول ريكور**" هذه الصورة وما موقعها من إشكالية الفهم؟

لقد ميّز "**بول ريكور**" بين نوعين من الخطاب: الخطاب التأملي والخطاب الشعري، يهدف الخطاب التأملي إلى إقامة علاقة مطابقة بين العلاقات اللغوية الداخلية ومطابقتها مع الواقع الخارجي، في حين أن الخطاب الشعري يكتفي بالمعنى وحده وإحالته تكون في العلاقات اللغوية الداخلية، وهنا يكمن دور الاستعارة لأنها تحيل المعنى إلى معنى آخر، فالمعنى المجازي يتحول إلى دال له مدلول آخر.

بالنسبة "**لبول ريكور**"، الخطاب التأملي في الأصل بدأ خطابا شعريا، لأن السؤال الذي طرحه "**أرسطو**" (384ـ 322ق. م) ما الوجود؟ تخطى الواقع فهو مدلول متعالي على حدّ تعبير **جاك دريدا**(ريكور، ب، سنة 1999، ص 14)، ضف إلى هذا فإن أرسطو وجد معاني كثيرة تحيط بمفهوم الوجود، في هذا التعدّد للمعاني ومحاولة إقامة علاقة إحالة فيما بينها تتشكّل الاستعارة(الاستعارة في اللّغات الأوروبية Métaphore ومعناها ما وراء المعنى= ما وراء الظاهر، وهذا ما أكده هيدخر حين اعتبر أن الاستعاري يوجد في قلب الميتافيزيقا، فما وراء المعنى هو ما وراء الطبيعة بالنسبة لهيدخر) (ريكور، ب، سنة 1999، ص 13) في هذه الإحالة هناك مستويين: مستوى المعنى اللغوي لأن الاستعارة تحيل إلى معاني أخرى، وهناك مستوى ما وراء الطبيعة لأن مدلولات الاستعارة قائمة على المماثلة المتعالية.

ولقد وضّح "**بول ريكور**" فاعلية الاستعارة في صياغة المفاهيم، فالانتقال من المعنى الحرفي إلى المعنى المجازي، يعني اختفاء معنى الأول وإظهار معنى آخر بديل هو المفهوم (ريكور، ب، سنة 1999، ص 22)وهكذا فإن المفهوم الفلسفي هو هذه الحركة التي بدأت باستعارة أي بعملية انتقال من مستوى لغوي إلى آخر، لتنتهي عند معنى واحد.

إن الخطاب الفلسفي يلجأ للاستعارات لأجل الحصول على دلالات جديدة، وفسح المجال لمعرفة مظاهر جديدة للواقع بواسطة هذا التجديد، ولهذا تحظى الاستعارة بأهمية في فلسفة "**بول ريكور**"، على نحو ما يحظاه الشعر من أهمية في فكر "**الهيدخري**"(1889 ـ 1976)، فماهو الشعر الحقيقي بالنسبة له؟، إنّه ذلك الذي يحقق الرؤية الأكثر اتساعا، الذي يجعل الكلام يعيد الصعود انطلاقا من أصله، الذي يجعل العالم يظهر(ريكور، ب، سنة 2016 ، ص 443)، وهذا ما يجعل الاستعارة "حيّة" إنّها تظهر العالم وتعكس الواقع وتعيد صياغته.

وهو نفس الأمر الذي ذهب إليه "**أمسترونغ ريتشارد**"(1893 ـ 1979)، حين اعتبر أنّ اللّغة الأدبية هي لغة التعدّد، فالكلمة تدل على أكثر من معنى، هنا يأتي دور البلاغة، فإذا كانت البلاغة كما عرّفها **ريتشارد:**"دراسة سوء الفهم و الوصفات التي يمكن وصفها له"(ريكور، ب، سنة 2016، ص 151)، فإنّ الوصف بهذا المعنى هو القدرة على التحكم في التحولات الدلالية، ومن التحولات التي تنظر فيها البلاغة " الاستعارة"، حيث يقول في ترجمته لكتاب الشعرية لأرسطو:" إنّ أعظم شيء هو القدرة على صياغة الاستعارة وهذا وحده لا يمكن أن ينتقل للآخر لأنه علامة العبقرية، لأنّ صياغة استعارات جيدة يعني القدرة على رؤية التشابهات"(ريكور، ب، سنة 2016 ، ص 151) فالاستعارة بالنسبة له ليست مجرد صورة جمالية تضفي على اللغة زخرفة جمالية أو إمتاع، بل هي أبعد من ذلك إنها نمط لغوي تواصلي، ويتجلى هذا في آلية عملها فهي تجمع بين فكرتين

مختلفتين لاشتراكهمافي التفاعل، وبالتالي فهي كما يقول **بول ريكور**:" ليست مجرد نقل للكلمات بل تواصل بين الأفكار"(ريكور، ب، سنة 2016 ، ص 152.)

وهكذا فإن المقاربة بين "**ريتشارد** "و"**بولريكور**"، تكمن في أن كلاهما تجاوزا النظرة الأحادية للاستعارة من حيث أنها مجرد صورة بلاغية جمالية، بل هي نمط لغوي رمزي يتميز بقدرته على صياغة معاني متعدّدة وعلى خاصية الربط بين مختلف الدلالات والسياقات لوجود علاقة مشابهة بينها، وإن آلية عمل هذا النمط الرمزي (الاستعارة) يفتح المجال على إشكالية التأويل نظرا لما تحمله هذه الصورة من حمولة أنطولوجية، لأنها تنقل عالما بصورة أكثر وضوحا وقوة مقارنة بما تقدّمه اللغة العادية، وهذا ما لخصته عبارة ريتشارد القائلة:" إن التمكن من الاستعارة هو التمكن من العالم الذي نصنعه كي نعيش فيه"(ريكور، ب، سنة 2016 ، ص 157)، أي كيف تساهم الاستعارة في فهم الكينونة.

وهكذا فإن الاستعارة والرّمز يشكلان وجهين لعملة واحدة، فالاستعارة تزوّد اللّغة بعلم دلالي ضمني للرمز، لأن آلية عمل الاستعارة تؤدّي لتجديد وخلق دلالي، ومن جهة أخرى فالاستعارة هي شكل من أشكال الإسناد تخزّن في داخله قوة رمزية(ريكور، أ، سنة 2006 ، ص ص 115 ـ 116)، فالمعنى المجازي أو المستعار يعمل كدال رمزي يحمل مدلول آخر محايث.

إن من الملاحظ أنّ هذا الطّرح الذي قدّمه بول ريكورللاستعارة، يخالف تماما لنظرية التبادلية "**لماكس بلاك**"(1909 ـ 1988)، فالاستعارة هي عبارة تعوّض عبارة حرفية، أي بدل أن يستخدم المتحدّث هذه العبارة يستبدلها بعبارة أخرى لوجود قواسم مشتركة بين المعنى الأصلي والمعنى المستعار، وبالتالي فإن هتين العبارتين على حساب "ماكس بلاك" متعادلتان (ريكور، أ، سنة 2006 ص 160) وكأن الاستعارة هنا تشرح وتترجم، وعليه فهي لا تحمل حمولة معرفية بل هي مجرّد زخرفة وصورة جمالية وهنا يكمن أثرها.

أما الفيلسوف الإيطالي" أمبرتو إيكو"(1932ـ 2016) يصف الاستعارة بأنّها حيلة تمكّن من الحديث مجازيا(إيكو، أ، سنة 2005، ص 235)، فهي لا تقول الصدق ولا يمكن للمتلقي أن يقبلها حرفيا، فهي نوع من أكذوبة(إعتبرأمبرتو إيكو أن الإستعارةأكذوبة، لأنها تخالف قواعد المحادثة فهي ليست صادقة، وليست إخبارية، وليست واضحة) (إيكو، أ، سنة 2005، ص 238)فالمرأة ليست بجعة والمحارب ليس أسدا، كما ورد في التعبيرات الاستعارية، وهذا ما يفتحها على التأويل الذي بدوره يرتبط بدرجة الحمولة الثقافية للمؤولين بمعنى أن المعاني المتولّدة عن الممارسة الاستعارية، يجب أن تتلاءم مع ثقافة العصر حتى لا تنتج حلقة مفتوحة من التأويلات.

إنّ هذه المقاربة الفلسفية توضّح اختلافات الفلاسفة حول الاستعارة، فهناك من اعتبرها مجرّد ترادف للعبارتين الأصلية والمجازية (ماكس بلاك)، وهناك من اعتبرها صورة كاذبة وتحريف للمعنى (أمبرتو إيكو).

ـ في كتاب الاستعارة الحية (1975) يقدم **بول ريكور** دراسة مقارنة يميّز من خلالها بين الاستعارة والكناية والمحسّن، "فالاستعارة" تحتوي جميع أصناف الكلمة، فليس الاسم فقط مجالها بل حتى الصّفة، والفاعل وكل أصناف الكلمة، في حين أن الكناية والمجاز لا تمس إلا الأسماء"(ريكور، ب، سنة 2016، ص 122)، وهذه الأصناف كلها تصلح للاستعمالالاستعاري، لأنها كلّها تدخل في تركيب جملة متكونة من كلمتين أحدهما أصلية والثانية مستعارة، والكلمة المستعارة تؤدي وظيفة التخصّص(ريكور، ب، سنة 2016، ص 123)، بمعنى الذات تستعير تلك المفردات التي فقط تخصّ وتصف المسمّى بشكل أكثر عمقا وأشد إثارة.

وتقتبس الاستعارة من كل ما يحيط بنا من الموضوعات الذهنية أو المعنوية أو المادية، ويصف "**نيلسون غودمان**"Nilsongoodman1906(1989.) هذا المجال أي الواقع بأنّه مجموعة من البطاقات ، فتصبح الاستعارة حسب تعريفه" إعادة وصف بواسطة هجرة البطاقات"(ريكور، ب، سنة 2016 ، ص 125)، أي كيفية استعارة الموجودات سواء كانت ذهنية، معنوية، مادية... لإقامة المشابهة بينها وبين المستعار له، وهذا الإسناد لا يتم في شكل اعتباطي بل لوجود علاقة مشابهة قوية وواضحة بينهما. لقد قدّم **نيلسون غودمان** صورة واضحة عن وظيفة الاستعارة عندما مثّلها باللّوحة، فلما كان الهدف من اللّوحة كإبداع فني هو نقل فكرة أكثر حيوية وواقعية من خلال حركة التلاعب بالأشكال والألوان وهذا بالضبط ما تفعله الاستعارة. في حين أن "**بول ريكور**" يصف العلاقة بين المتشابهات بأنها علاقة توتّر، وليس الجمع بين المفردات والسياقات المتباعدة هو ما يشكل الاستعارة، بل هي حاصل التوتر بين مفردتين في قول استعاري(ريكور، ب، سنة 2006، ص 90)، والمقصود بالتوتر هنا هو لحظة الانفعال التي تتولد جرّاء تركيب بين الموجودات والمفردات متباعدة وهذا التركيب يخرج عن نطاق المألوف، أو لم نتفطّن له إن صحّ التعبير،والاستعارة توجد في التأويل الذي من خلاله نستطيع إدراك المعنى المحايث لهذا الجمع أو التركيب، لهذا يصف بول ريكورالاستعارة بأنها "**حلّ لغز**"(ريكور، ب، سنة 2006 ، ص 93)، لأنّها قائمة على التنافر الدلالي، أي الجمع بين الدلالات المتنافرة والمتباعدة، لإدراك علاقة المشابهة فيما بينها،ومن جهة أخرى فإن في لحظة التفاعل بين المتشابهات المختلفة، تقدم الاستعارة وصفا جديدا للواقع.

ـ والذي يميّز الاستعارة عن المحسّن، هو على مستوى اللّغة، يقول **بول ريكور**:" يكمن المجاز الضروري على وجه الإجمال في كون دليل اختص بفكرة أولى، يختصّ أيضا بفكرة جديدة لم تكن

له أو ليس لها دليل خاص في اللّغة"(ريكور، ب، سنة 2006 ، ص 128)، فالمجاز بهذا المعنى يقدم قرينة خاصة بالفكرة الأولى أي المعنى الأصلي ويربطها بفكرة ثانية أي المعنى المجازي، في حين أن المحسّنات تقدّم دائما فكرتين إثنين إمّا مقترنتين أو إحدى الفكرتين تحت صورة فكرة أخرى.

إنّ هذا التمييز يقودنا إلى تحديد معايير الاستعارة الجيّدة وهي المناسبة، الوضوح، والتماسك.

إن المستعار يكون (مناسبا) أي في محلّه ويؤدي المعنى المطلوب، وإن كان كذلك فهو يخلق ترابطا (تماسكا) بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي، هنا سيتحقّق الهدف وهو (الوضوح) أي نقل معنى أشدّ وضوحا وقوة.

ويتميز المجاز عن المحسّن في عنصر الإمتاع، إنّ الإمتاع والتشويق الذي يحفل به الخطاب، ما هو في الحقيقة إلا تجلي من تجليات الإبداع الذي تحفل به لغة الشاعر، وإن كنّا نجد هذه المتعة في المجازات، فإنّها تحتل وظيفة ثانوية بعد الوضوح (الوضوح بالدرجة الأولى ثم الإمتاع).

2- النتائج:

أ ـ الاستعارة كإنتاج نحوي، وظفت في البلاغة الكلاسيكية كصورة جمالية.

ب ـ تحقق الاستعارة عدة وضائف: توضيح المعنى، قوة المعنى، تأكيد المعنى.

ج ـ مجالات الاستعارة متعددة: الكتابات الشعرية، النصوص الدينية، الصورة السينمائية.

د ـ الاستعارة إنتاج إبداعي: لأن صانعها جمع بين سياقات متباعدة لإدراكه علاقة المشابهة القوية بينها.

هـ ـ الاستعارة في فلسفة بول ريكور تتحول إلى نمط رمزي يحتاج إلى ممارسة تأويلية، لتحقيق عملية الفهم.والاستعارة تثري الحقل الدلالي، لأنها تولد شبكة من المفاهيم الجديدة.

3- مناقشة النتائج:

أ ـ البلاغة الكلاسيكية اعتمدتالاستعارة في النمط الشعري.

ب ـ توظف الاستعارة في الخطاب الفلسفي كأسلوب حجاجي.

ج ـ تحولت الاستعارة من مجال الكتابة إلى مجال الصورة الإشهارية، فكلما كانت الاستعارة الإشهارية قوية كلما كان التسويق جيد.

د ـ تعتبر الاستعارة إنتاج خاص وليس عام.

هـ ـ تجاوز بول ريكور في طرحه لإشكالية الاستعارة النظرة الأحادية لها أي مجرد زخرفة جمالية، فهي تعمل كرمز تأويله يكشف عن الخبرات الأنطولوجية. وتجسد الاستعارة النظرية التوليدية،أي قدرتها على إنتاج مفاهيم جديدة.

الخلاصة:

ـ إنّ الاستعارة كإنتاج نحوي بلاغي، هي تجسيد لثراء اللّغة وما تسخر به من تعدّد الحقل الدلالي، ويمكن القول أنّها بصورة أخرى إثبات لإمكانية الإنسان من حيث أنه حيوان رمزي، إنها القدرة على إحالة المعنى

الأصلي على معاني جديدة، بهدف تبليغ ونقل الفكرة بشكل أكثر قوة ووضوحا، إن في هذه الإحالة قدرات تخيلية خصبة لأن مبدعها استطاع الربط بين موضوعات مختلفة وسياقات متباعدة، فقط لأنه أدرك علاقات المشابهة بينها.

ـ لقد استطاع بول ريكور، من خلال دراسته للاستعارة أن يتجاوز النظرة الأحادية لها، فهي أبعد من أن تكون مجرّد صورة جمالية كما تصورتها البلاغة الكلاسيكية، بل هي خلق وإبداع يعيد صياغة العالم بعد أن تكون قد عكست واقعه من خلال معاني جديدة ولعلّ هذا ما عبرت عنه دراسة القواعد التوليدية ل"**تشومسكي**"، حول قدرة الذات على خلق عدد غير متناهي من المعاني والجمل في ظروف مناسبة قائلا: " إن الجزء الأعظم من تجربتنا اللّسانية، متكلمين كنّا أم مستمعين يتجلى في جمل جديدة، فنحن ما إن نتمكن من اكتساب اللّغة، حتى نجد أن طبقة الجمل التي نستطيع أن نتعامل معها اعتياديا واسعة إلى درجة نستطيع معها أن ننظر إليها بأنها لا تتناها على كل الأصعدة"(ريكور، ب، سنة 2005 ، ص 127)، كما أن هذه الاستعارات تتحول إلى رموز تفتح المجال نحو الممارسة التأويلية، لأنها تحمل خبرات معاشة وتجارب أنطولوجية وسيكولوجية، الأمر الذي جعل الاستعارة تتقاطع مع الفلسفة والسيمائيات والسيكولوجيا.

****

قائمة المصادروالمراجع

المصادر:

ـ ريكور بول، (2006)، الاستعارة الحية، تر: محمد الولي، ط1، بيروت، دار الكتاب الجديدة المتحدة.

ـ ريكوربول، (1999)، الوجود والزمان والسرد، تر: سعيد الغانمي، ط1، بيروت، الناشر المركز الثقافي العربي.

ـ ريكوربول، (2006)، بعد طول تأمل، تر: فؤاد مليت، ط1، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون.

ـ ريكور بول، (2005)، صراع التأويلات ـ دراسات هيرمونيطيقية، تر: منذر العياشي، ط1، بيروت، دار الكتاب الجديدة المتحدة.

ـ ريكور بول، (2006)، نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، تر: سعيد الغانمي، ط2، المغرب، الناشر: المركز الثقافي العربي.

المراجع:

ـ ابن عبد الله شعيب، (2004)، بحوث منهجية في عوم البلاغة العربية، ط1، ابن خلدون للنشر والتوزيع.

ـ أحمد الهاشمي، (2011)، جوهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ط1، بيروت، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر.

ـ ألتوجي محمد، (2012)، الجامعة في علوم البلاغة ـ المعاني، البيان، البديع ـ، ط1، الجزائر، دار العزة والكرامة.

ـ إيكو امبيرتو، (2005)، السيميائية وفلسفة اللغة، تر: أحمد الصمعي، ط1، بيروت، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية.

ـ تشاندلزدانيال، (2008)، أسس السيميائية، تر: طلال وهبة، ط1، بيروت، المنظمة العربية للترجمة.